علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا ولكن يسمى هدى لان من شانه ان يهدى
وهذا احسن من قول من قال انه هدى بمعنى هاد فهو مصدر بمعنى الفاعل
كعدل بمعنى العادل وزور بمعنى الزائر ورجل صوم اى بمعنى صائم فان الله سبحانه
قد اخبر انه يهدى فالله الهادي وكتابه الهدى الذي يهدي به على لسان رسوله فهاهنا
ثلاثة اشياء فاعل وقابل وآلة فالفاعل هو الله عز وجل والقابل قلب العبد والآلة
هو الذي يحصل به الهدى وهو الكتاب المنزل والله سبحانه يهدى خلقه هدى كما يقال
دلهم دلالة وارشدهم ارشادا وبين لهم بيانا والمقصود ان المحل القابل هو قلب العبد
المتقي المنيب الى ربه الخائف منه الذي يبتغي رضاه ويهرب من سخطه فاذا هداه فكانه
وصل اثر فعله الى محل قابل فاثر به فصار هدى وشفاء ورحمة وموعظة بالوجود
والفعل والقبول واذا لم يكن المحل قابلا او صل اليه الهدى فلم يؤثر فيه كما يصل الغذا
الى محل غير قابل للاغتذا فانه لا يؤثر فيه شيا بل لا يزيده الا ضعفا وفسادا كما قال تعالى
في السورة التي يذكر فيها فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين
في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وقال وننزل من القران ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا فتخلف الاهتداء يكون لعدم
قبول المحل تارة ولعدم الة الهدى تارة ولعدم فعل الفاعل وهو الهادي تارة ولا يحصل
الهدى على الحقيقة الا عند اجتماع هذه الامور الثلاثة وقد قال سبحانه ولو علم الله
فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون فاخبر سبحانه انه قطع عنهم
مادة الاهتداء وهو اسماع قلوبهم وافهامها ما ينفعها لعدم قبول المحل فانه لا خير
فيه فان الرجل انما ينقاد للحق بالخير الذي فيه والميل اليه والطلبه ومحبته والحرص
عليه والفرح بالظفر به وهؤلا ليس في قلوبهم شيء من ذلك فوصل الهدى اليها ووقع
عليها كما يصل الغيث النازل من السما ويقع على الارض الغليظة العالية التي
لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فلا هي قابلة للماء ولا للنبات فالماء في نفسه رحمة وحياة
ولكن ليس فيها قبول له ثم ذكر هذا في حقهم بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
اى فيهم مع عدم القبول والفهم افة اخرى وهي الكبر والاعراض وفساد القصد
فلو فهموا لم ينقادوا ولم يتبعوا الحق ولم يعملوا به فالهدى في حق هؤلا هدى بيان
واقامة حجة لا هدى توفيق وارشاد فلم يتصل الهدى في حقهم بالرحمة واما المؤمنون

فاتصل

فاتصل الهدى في حقهم بالرحمة فصار القران لهم هدى ورحمة وشفاء واولئك هدى بلا رحمة و
الرحمة المقارنة للهدى في حق المؤمنين عاجلة واجلة فاما العاجلة فما يعطيهم الله
في الدنيا من محبة الخير والبر وذوق طعم الايمان ووجدان حلاوته والفرح والسرور
بان هداهم الله لما اضل عنه غيرهم ولما اختلف فيه من الحق باذنه فهم يتقلبون في نور
هداه ويمشون به في الناس ويردون غيرهم متحيرا في الظلمات فهم اشد الناس فرحا
بما اتاهم ربهم من الهدى قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون فامر سبحانه عباده المؤمنين المهتدين ان يفرحوا بفضله ورحمته وقد جرت
عادة عبارات السلف على ان الفضل والرحمة هو العلم والايمان والقران واتباع الر
سول وهذا من اعظم الرحمة التي يرحم الله بها من يشا من عباده فان الامن والعافية
والسرور ولذة القلب والجسم وطمانينته مع الايمان والهدى الى طريق السعادة
والفلاح والخوف والهم والغم والبلا والالم والقلق مع الضلال والحيرة ومثل هذا
بمسافرين احدهما قد اهتدى لطريق مقصده فسار آمنا مطمينا والاخر قد ضل
الطريق فلا يدري اين يتوجه كما قال تعالى قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا
يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض
حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ايتنا قل ان هدى الله هو الهدى فالرحمة التي تحصل
لمن حصل له الهدى هي بحسب هداه فكلما كان نصيبه من الهدى اتم كان حظه من الرحمة
اوفر وهذه هي الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين وهي غير الرحمة العامة بالبر والفا
جر وقد جمع سبحانه لاهل هدايته بين الهدى والرحمة والصلاة عليهم فقال
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه نعم العدلان ونعمت العلاوة فبالهدى خلصوا من الضلال وبالرحمة
نجوا من الشقا والعذاب وبالصلاة عليهم نالوا منزلة القرب والكرامة والضالون
حصل لهم ضد هذه الثلاثة الضلال عن طريق السعادة والوقوع في ضد الرحمة من
الالم والعذاب والذم واللعن الذي هو ضد الصلاة ولما كان نصيب كل عبد من
الرحمة قدر نصيبه من الهدى كان اكمل المؤمنين ايمانا اعظمهم رحمة كما قال تعالى في
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله والذين امنوا معه اشداء على
الكفار رحماء بينهم وكان الصديق رضي الله عنه من ارحم الامة وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بامتي ابو بكر رواه الترمذي وكان ابو بكر اعلم الصحابة بالتفاو

Copyright Imam Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)